المستحدثات التقنية المعاصرة ودورها في تفاعل الفنون التشكيلية

د . عبدالكريم حسن عامر صولة ـ كلية الآداب ـ جامعة الزاوية

مُقدّمـــة :

انبهر الإنسان قديماً بما هو موجود على سطح هذه الأرض التي نعيش عليها من ظواهر طبيعية ،وبشرية ،ويزداد انبهاره حينما يتطلع ببصره إلى السماء في ليلة صافية ، فيرى النجوم المتلألئة ، والكواكب المتناثرة في صفحة الأفق ، فيعجب لهذا الصنيع العظيم ..إنه صنع الله الذي أتقن كل شيء.

من هنا تولّـد لدى الإنسان في الماضي الحس الفني الذي تمخّض عنه تمثيل هذه الظواهر التشكيلية على وسائلها البدائية آنذاك كالنحت في الجبال ، أو الرسم على جدران الكهوف ، أو رسم بعض المعالم الخاصة بالطرق ، والاتجاهات ، والمسافات، بين تلك المعالم كي يهتدي بها في رحلاته وانتقاله براً ، وبحراً ، فكانت الفنون والتي ارتبطت بتاريخ الإنسان على هذه الأرض.

ولم يعد الفن التشكيلي مجرد ألـــوان زيتية على سطح قماش بعد أن وفّـــرت التقنية الحديثة دورها في ضوء المعايير المعاصرة للفنانين التشكيلين المعاصرين احتمالات كثيرة كالفنون البصرية ، والمواد الصناعية ، والخلائط المعدنية ، وغيرها من أدوات التعبير الجديدة التي فتحت الرؤية الفنية على أفـــق البحث والتجريب ، وقد شملت تأثيرات التقنيات الحديثة الموضوعات والألوان ، ووسائل عرض اللوحات في إطار توجه تشكيلي حداثي ، ينفلت من الثبات والجمود ويحرر الحس الفني ليعطي مفهوما عصريا للفن .[1]

وللفنون التشكيلية أهمية بـــارزة في حياة المجتمعات والأفراد ، لما لها من دور مهم في المحافظة على تراث المجتمع ،كما أنها أداة من أدوات تقدم المجتمع وتطوره، وتهدف لتنمية جميع جوانب الشخصية للفرد ،وتمكنه من تحقيق ما يرغب الوصول إليه من تقدم ، وازدهار ورفاهية ، وابتكار في أساليب تناوله للموضوعات الفنية.

تعتبر الفنون التشكيلية ضرورية لفهم الفروع الأخرى من المعرفة ، فكلها تعتمد على الفنون بطريق أو بآخر ، وليس هناك علم أو فن أو تخصص إلا وكانت الفنون مفتاحا لها.

أصبحت الفنون موضوعاً أساسياً لا يستغني عنه الإنسان بأي حال من الأحوال أينما كان موقعه سواء في الدارسة ، أم في وظيفة يشغلها ، أم في قضاء حوائجه في مختلف مناحي حياته اليومية ، وعلى الرغم من كل التحديات التي يفرضها تدخل الأشكال أو تبني النظم تبقى حرية الاختيار بشكل أكثر موضوعية من خلال اللجوء إلى وسائل التقنية الحديثة الفنية بالتنوع الانتظام ،التشابك ، أو إلى معطيات أخرى وهي التي تعطي الحيوية ومتانة التركيب لشتى العناصر الشكلية واللونية.

"والعالم قطع شوطاً كبيراً منذ ظهور التقنيات الحديثة ،وذلك من خلال ما تخيله للصور في نفسه إلى ترجمتها في حياته ، فقد وجد حياته عبارة عن أشياء لها دلالات وتسميات عديدة حيث وظف عقله للكشف عن هذه الدلائل .[2] ومنها الاتصالات العنكبوتية وفي الوقت السالف الذي مضى الفن التشكيلي في تجاربه ،وأبحاثه ، ومنجزاته وجميعها كانت نمطية التجربة الإنسانية المستندة إلى الملاحظة بين تقنيات الكومبيوتر والتكنولوجيا الرقمية والالكترونيات ، وتنطلق مساعي البحث ،والتي تستوجب المواكبة للتطورات التقنية وفي سرعة المجريات مجريات التغيير الذي يواجه دوماً تحديات جمة ،تتمثل في إعادة التشكيل والتأهيل لإمكانية اقتناص الفرص المتاحة من جهة وفي تحصين الموروث الفني والثقافي ،من جهة أخرى وبالعودة إلى التحدي ،حيث يكمن هذا في إعادة النظر في طبيعة المبتكرات ، وهذا سيتحول حتماً نظام ، وثقافة المنافسة سعياً نحو التغيير والتطوير " فتنوعت الأساليب الحديثة في الفن بما يتماشى مع معطيات ما يسمى بفنون الحداثة ، ونحن بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى نهضة تعليمية مرجوة تلحقنا بركب العصر وعلومه ، وتجاهل إعادة إنتاج البدايات أو مواصلة نهجها.[3]

ومن هذا المنظور فإن الاهتمام بتطوير الفنون مع المعطيات التقنية الحديثة يشكل العمود الفقري في بناء المجتمعات ،وفي الوقت نفسه أصبح من الضروري مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي ،والتطور على صعيد المستحدثات التقنية وما تحدثه من آثار على كل من الأفراد والمجتمعات ،وبما أن الفن يسهم في تكوين الفرد والمجتمع، وبلورة ملامحه في الحاضر والمستقبل.

لذلك لابد من تطويـــر نظم التعليم الجامعي بالتقنية الحديثة لزيادة فعاليتها للقيام بدورها في إعداد الخريجين القائمين على فهم تلك المتغيرات ، والتعامل معها، ومسايرة التغيرات الحادثة في المجتمع ، وبما أن تعليم الفنون التشكيلية بالتقنية الحديثة ،ولها دور رئيسي في تقدم الأمم وازدهارها ،فإن المناهج التعليمية الخاصة

بالفنون التشكيلية تعد أهم مرتكزات هذا الاستثمار بما تقوم به من إعداد الجيل للحياة و العمل ،والتي ولا شك في أن مجتمعنا بحاجة ماسة لإعادة النظر في تلك المناهج ، والمقررات ،وأساليب التدريس تمشياً مع التقدم العلمي والتقني.

وذلك من خلال تركيز الاهتمام بالمعلم ،وإمداده ببرامج تدريب ،ومقررات تواكب الانفجار المعرفي ،وتقدم التقنية الحديثة ،والمستحدثات ،وكل ذلك تحت ظل المعايير المعاصرة.

وقد أوضحت إحدى الدراسات السابقة ، دراسة (البراهيم ،هيا) ضعف مستوى التحصيل الدراسي الذي يتراكم سنة بعد سنه بسبب آلية الترفيع المذكورة أعلاه، إضافة إلى إهمال مواد أساسية ،والتي يتم الترفيع فيها مما يعني تراكم الضعف العام في هذه المواد ،وهي مواد يشكو الطلبة والطالبات أصلاً من الضعف فيها وهو الأمر الذي أظهرته دراسات عديدة لمستويات التحصيل ، والتي أظهرت مستوى متدنياً بشكل كبير .[4]

مشكلة الدراسة :

من خلال التسارع التقني الذي يسود العالم بحكم تطور الاتصالات ،وتقنياتها ، وتعدد منافذها والانفتاح الحاصل بين الأمم والشعوب. ومن خلال اطلاع الباحث ، وقيامه بدراسة استطلاعية خاصة بالمستحدثات التقنية المعاصرة ، ودورها في تفاعل الفنون التشكيلية صاغ الباحث مشكلة دراسته في أنه" يوجد ضعف واضحاً للمستحدثات التقنية الحديثة ،لذلك وجد الباحث مسوغاً منطقياً لمشكلة بحثه تتلخص في السؤال الرئيسي التالي:

- ما المعطيات اللازمة للمستحدثات التقنية الحديثة ، ودورها في تفاعل الفنون التشكيلية في ضوء المعايير المعاصرة .؟

ومن السؤال الرئيسي السابق تتفرع الأسلة التالية :

1- ما أهمية التكنولوجيا المعاصرة في تطوير الفنون التشكيلية.
2- ما دور التقنيات الحديثة وتأثيرها على العمل الفني.
3- ما أهمية تطوير دور معلم الفنون التشكيلية بالتقنيات الحديثة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلـــى:

1. التعرف بالتكنولوجيا المعاصرة وتفاعلها مع الفنون التشكيلية.

2.توضيح دور التقنيات الحديثة وتأثيرها على العمل الفني والتطورات في مجال الفنون التشكيلية.

3. شـــرح أهمية تطوير دور معلم الفنون بالتقنيات المعاصرة واستراتيجيات التدريس الإلكتروني لطلبة الفنون التشكيلية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في:

1. يعد البحث إثراء للمكتبات العربية عامة والليبية على وجه الخصوص في تطوير الفنون التشكيلية مع المعطيات التقنية الحديثة في ضوء المعايير المعاصرة.

2. تفيد الدراسة الفنانين التشكيليين والطلاب والمعلمين والباحثين في هذا المجال.

3. يستفيد منه القائمون على تطوير المقررات الدراسية بشكل عام ،ومقررات الفنون التشكيلية على وجه الخصوص.

إجراءات الدراسة :

الرجوع إلى البحوث والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة بهدف التوصل إلى توصيف دقيق للمستحدثات التقنية الحديثة المعاصرة ،تتبناه الدراسة الحالية ،كذلك التعرف على التجارب والخبرات السابقة في الحصول على معلومات حديثة تتعلق بموضوع الدراسة.

حدود موضوع الدراسة:

تتناول الدراسة الحالية المستحدثات التقنية الحديثة ودورها في تفاعل الفنون التشكيلية في ضوء المعايير المعاصرة.

مدخل :

يُعتبر الفن التشكيلي المعاصر حصيلة الثقافات المتراكمة على مدى عمر الإنسانية وما أنجزته البشرية على مر العصور ، وهو يتميز بالأصالة التي لها صفة الاستمرارية لأنه نتاج لتفاعل البشر ، ووحدته ، ومسايرته ، للتاريخ وتنوع مظاهر حضارته.

وإن الحداثة في الفـن ليس من إنتاج شخص بعينه أو أناس بذاتهم ، بل هو من إنتاج أفراد ذائبين في المجتمع يشعرون بكل ما هو كائن حولهم ، ويتفاعلون مع كل ما في المجتمع من ثقافة ، ولغة وفكـــر ، ونشاط إنساني ، ويخرجون لنا الفنون التي تعتبر على صورة هذا المجتمع دون افتعال أو زيف ، وقد انعكست حداثة العصر على الفن الذي ضيق عليه الخناق من جـــرَّاء تقلبات شتى وضغوطها ، لذا أخـــذ

الفنان الحديث على عاتقه مهمة إخراج الفن من مساره الضيق هذا ، وبدأ بالبحث عن شكل يساهم في توازن المجتمع ، وبثّ الطمأنينة فيه ، كما أن هناك اكتساب الوعى بالقضايا الاجتماعية ، والسياسية ، والحرية ، والعدالة ، والديمقراطية ، والدعوة إلى السلم والتضامن ،وترسيخ الهوية الوطنية ،والجذور التاريخية ،والانتماء الحضاري ،دون الدعوة إلى الانغلاق ،أو الانطواء ،فالمجتمعات ،والدول المتقدمة تعتــز وتفتخر بفنانيها ، وعلمائها وأدبائها وشعرائها ،وقادتها وقد تكون الفنون التشكيلية ، والفنون العملية ذات فائدة لا تحصر للإنسانية علما أننا اليوم نجد التعليم لم يعمل على إطلاق عنـــان الفن. (5)

محـــــــــــاور الدراســـــة :

المحور الأول - ويشمل على المباحث التالية:

المبحث الأول ــ التكنولوجيا المعاصرة وتفاعلها مع الفنون التشكيلية :

غياب الثقافة الفنية الكامنة لقراءة العمل الفني التشكيلي ، والبحث عن الاستدلالات الكافية وعدم التكيف والتفاعل مع المعطيات التقنية الحديثة يؤثــر تأثيرا سلبيا ، فهناك الكثير من الفنانين الراكضين وراء العمل الفني انطلاقاً من نظرية الفن للفن دون الالتفات إلى البيئة ، والماضي والمستقبل ، والنقد الفني الموضوعي المنشود من خلال إلمام الناقد التشكيلي بالمفردات التقنية والثقافية التاريخية.

فاستطاعت التكنولوجيا العلمية من خلال النظم الرقمية ، وضــخ الفرص المغرية في أذهان الفنانين وأوساط العامة والنخبة ونجحت في استقطاب التجارب والأنظار، وأسهمت في تنشيط حركة اقتناء الأعمال الفنية ، مما يجعل المراجعة الدائمة لمحتوى هذه المناهج ضرورياً ؛ بل يتوقع في مرحلة قريبة تهديد مبدأ المركزية في تأليف وتوزيع الكتب المدرسية ، كما يجري حالياً في الدول العربية ، إذ لن تتمكن الأجهزة المعنية من ملاحقة التغيرات المتسارعة في المعرفة وطرق الحصول عليها كما سيصدم الأساتذة بأجيال من الطلبة متقدمين في مجال استخدام التقنية الحديثة فماذا سيفعل المعلم لجذب عناية هؤلاء الطلاب حين يجبر على تقديم مادة هزيلة أو قديمة سنة بعد سنة.

ومن الضروري تبني الرؤية الوظيفية للمادة المقدمة في مناهج الفنون ، أي : أن كل ما يتعلمه الطالب لابد أن يكون له وظيفة محددة في حياة هذا الطالب ، ولذا سعت نظم عديدة مثل النظام الأمريكي إلى تعليم مهارات عديدة مثل : تعلم القراءة الناقدة ، تعلم الفنون التشكيلية ، والنقد الفني ، والخطابة ، وتعلّم المصطلحات ،وتعلم

مهارات البحث العلمي للبحث عن المعلومة ،وهكذا يجب أن يكون التعليم لا كما يحدث لدينا اليوم ،فالطلبة هنا يدرسون ما هو موجود في المناهج المدرسية لأنهم لابد أن يحفظوها ويعيدوا إنتاجها في الامتحانات ،فهذا ليس تعليماً إنه تحفيظ سطحي لحقائق تهم آخرين ،ولا تعني شيئاً للمتعلم

التعليم يجب أن يتضمن حقائق فعلية حول العالم ، وأن يزيد قدرتنا على التعلم ، يجب أن يركز التعليم على مهارات التفكير الناقد وأساليب التفكير العلمية ، ومهارات حل المشكلات بطرق غير تقليدية ،والإبداع فيها.

المبحث الثاني ــ مستحدثات الفنون التشكيلية الحديثة في ضوء المعايير المعاصرة:

إن إعطاء الكومبيوتر بعض الأهميـــة توفر للفنان أجــواء الإبداع السحــري الغامض، ومن ثمّ تتضح أمام ناظريه الصور ، والأشكال الأكثر إيحاء ، ويتابع فيما بعد في مغامرة الألوان ، إلى الاستعمال المباشر لشاشة الكومبيوتر بحثاً وراء أبجدية تشكيلية جديدة ، والشاشة هذه تسمح بالبحث عن دوافع جديدة ، وعند الحصول على كيفية للأبجدية التشكيلية الجديدة تتفتح آفاق الاندماج والتمازج بين المعايير الذاتية والبنيوية المشابهة جداً لتجارب الفنان ، وقد وصل بعض الفنانين إلى الاستعمال المباشر لشاشة الكومبيوتر بحثاً وراء أبجدية تشكيلية جديدة .

ويقول (بيـــاردومارن) - بهذا الصدد - :" في الفنون يكون التعاطي والتفاعل مع الزمان والمكان الأصوات ،والكلمات ،ومن الواضح جداً بأن الكمبيوتر يستطيع إدماج العناصر ،وأن يقرب الإنشاءات ،وهذه الحالة التي تثير في بعض الأحيان الدهشة ، والإعجاب بالقدر الذي تكون فيه اللوحة الفنية ،أو المقطوعة الموسيقية مرتكزة على الانفعال الذي توحي به ،وتثيره ،على الرغم من كل التحديدات التي يفرضها تدخل الأشكال ،أو تبني النظم ،تبقى حرية الاختيار بين التمازجات الممكنة وهي بطبيعتها غير محدودة فهناك تجارب كثيرة أظهرت في الواقع بأن يكون الخيار ذاتياً وقد كانت كلّ النتائج مرضية بهدف تحديد عدد التمازجات الشكلية واللونية فيكفي إقامة عدة نظم تتناسب مع الاستمرارية ،والترابط الجمالي للأشكال الناتجة عن الصورة الرقمية.

أما الحديث عن القواعد الضيقة ،والقائمة ،أو الناتجة بالحدس عن طريق الفنان أو حاصلة بشكل أكثر موضوعية من خلال اللجوء إلى وسائل المعلوماتية الفنية

بالتنوع، الانتظام ،التشابك أو إلى عدة معطيات أخرى وهي التي تعطي الحيوية ، ومتانة التركيب لشتى العناصر.

فهناك وجهة نظر توافق على صعيد الإبداع الفني التلويني ،والموسيقي ، والمعطيات التقنية الحديثة في ضوء المعايير المعاصرة منطلقة هي الذات الإنسانية ، وأنّ الإنسان هل كان مبدعاً أم عالماً يعمل بطريقة منهجية تنطوي تحت ،التنسيق ، والتفسير ، وإعادة الصياغة للعناصر المتخيلة أو المستوحاة من الواقع ، وأنّ إبداع الإنسان باستطاعته أن يجعل من كل هذه المعطيات التقنية تشكيلاً جديداً فريداً من نوعه ،غير مألوف لم تسبق رؤيته ، في حين أن الكومبيوتر يستطيع تقليد هذا المظهر من الإبداع في جملة مراحله ، أما عمله فهو ناشئ عن البرمجة التي يحققها الإنسان ، حتى إنّ عملية دفع المعلومات لا تعدو عن كونها عرضية من حيث التحديد، والمفهوم الإنساني الذي يستطيع بالواقع أن يتحدد كوسيلة اتحاد جديدة غير متوقعة وغير مرئية مكونة من عناصر ليست طارئة.

المبحث الثالث ـ المستحدثات التقنية في مناهج الفنون التشكيلية:

لابد أن يكون لدينا القدرة على الوصول إلى تقنيات الكومبيوتر ، والتكنولوجيا الرقمية والالكترونيات سواء في مكان العمل ،أو في المنزل عبر الانترنت ،أو عبر التلفزيون ،وهو ما يساعد على النمو الذاتـــي الذي يجب أن يشكل هدفاً أساسياً للتعليم.

يجب أن يكون الأفراد قادرين على الانغماس في عملية نمو ذاتي ، تستمر مدى الحياة وتساعد على النمو الشخصي والمهني ، وأن تحسن لديهم مهارات استخدام المعلومات ،والبيانات بشكل مستقل ،وابتكاري ،ومقنع مما سيرفع مستوى مهنئتهم، ويحسن أساليب حياتهم.

ستجلب التقنية الحديثة في مناهج الفنون التشكيلية مفاهيم جديدة للفنانين التشكيليين والطلاب والمعلمين والباحثين في هذا المجال ،ويكون الفنان التشكيلي قادراً على التعامل بانفتاح مع الغير وقادراً على التفاعل مع الثقافات الأخرى ويجب إعداد الطلاب لمقابلة تحديات المستحدثات التقنية العالية سواء في سوق العمل أو في السوق المحلية لذا يجب أن يعد الطالب للتعامل مع نماذج مختلفة من الثقافات والحضارات، والناس ،فالمجتمعات اليوم تزخر بالعديد من المشاكل منها التطرف، وانتشار الجريمة أو المخدرات ،لذا على المؤسسات التربوية أن تستشعر دورها في تفتيح

ذهن الطالب للتعامل بنجاح مع هذه المتغيرات التقنية في مناهج الفنون التشكيلية ،بما يضمن السلامة الشخصية والوطنية.

المحور الثاني - ويشمل على المباحث التالية:

المبحث الأول ــ التقنية الحديثة وتأثيرها على العمل الفني :

كان لابد من إضافة الأداء العملي بكل مجالاته للمقرر ،وذلك عن طريق تطوير الأداء العملي وربطه بالبيئة المحلية من توظيف مصادر البيئة المحلية في إنتاج الوسائل التعليمية وتصميم الوسائل ذات العلاقة بالمجتمع المحلي ، وتوظيف خبرات الطلاب المهنية ،وتأثيرها على العمل الفني التشكيلي في تعلم خبرات جديدة ،وتنمية الخبرات التعليمية باستخدام التكنولوجيا.

التقنية الحديثة والحديث الذي نواجهه في ملصقات الشوارع ،وفن التصوير الفوتوغرافي والسينما هو فن ديمقراطي ،تدخلت تقنية إنتاجه لتؤثر في قيمة العرض ،ويتضح هذا بشكل واضح حين تحاول السينما نقل عمل أدبي من خلال تقنية السينما إلى المشاهد ،فإنها لا تقدم النص الأدبي كما أدت التطورات التقنية الحديثة ،الآلية ،فذلك أن خامات العمل الفني وطبيعته لا تظهر في النسخ المطبوعة التي تشير إلى زمانه ومكانه ،وبالتالي تبين ظروف إنتاجه وموقعه في التاريخ ،والزمان ،والمكان هما محوران أساسيان للتفكير الاستطيقي لأن هذين البعدين يحكمان الوضع التاريخي لأي منتج من المنتجات البشرية ،فهذا الوجود المتفرد للعمل الفني يظهر من خلال الأصل الذي يعكس التغيرات التي صادفته من واقع الظروف الطبيعية من خلال الزمن ،وهذا ما ظهر في الأعمال المصورة التي تنتمي لعصر النهضة مثلاً ، ولا يمكن التعرف على التغيرات الأولى إلاّ بالرجوع إلى النسخة الأصلية سواء بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة ،ولا يمكن بالطبع القيام بهذه التحليلات على النسخ المصورة من الأصل ، وقد أدَّى استنساخ الأعمال الفنية بكميات ضخمة إلى اختفاء مفهوم الأصالة في العمل الفني ، لأنه ليس له وجود في أسلوب الاستنساخ الآلـــي.

ولكن أسلوب الاستنساخ قدّم إمكانات أكبر للفن عوضا عن الأصالة ، فمثلا يستطيع الاستنساخ أن يبرز جوانب في العمل قد تغفلها العين المجردة ، "وهذا الإلمام ليس بفعل الطبيعة ولا هو من مقومات العقل الخالص ، ولكنه من المواصفات التي يصفها المجتمع .[6] ، ويمكن عن طريق التكبير ، والحركة البطيئة للكاميرا أن تتوصل إلى حقائق تجهلها الرؤية الطبيعية ، وعن طريق هذه التقنية أمكن اقتراب العمل الفني من المتلقي ،فأصبح عن طريق الاسطوانة ،نستطيع الاستماع إلى عمل موسيقي تم عزفه

في مدينة تبعد عنا آلاف الأميال ، ورؤية الأعمال المعمارية مثل : الكاتدرائيات الضخمة من خلال فيلم سينمائي ، وتعددية النسخ التي يسمح بها الاستنساخ الآلي، تؤدي إلى خروج العمل الفني من محيطه الخاص إلى مجال عام ، يسمح للمتلقي باستقباله في أي مكان ، وقد أدَّى هذا إلى زلزلة عاتية للموروث الثقافي في إنتاج الأعمال الفنية ، وأصبح الفن يستخدم من قبل أدوات السيطرة في المجتمع حتى أصبح الإعلام ذاته بفضل التكنولوجيا سلطة ، تعيد صياغة وعي ،ووجدان الإنسان العادي في حياته اليومية.

المبحث الثاني ــ التغيرات والتطورات الحديثة في الفنون التشكيلية:

من خلال النظر إلى المسارات ، والإيقاعات التي تضبط كلا منها الفن الغربي، ونظيره الفن العربي ، وكذلك القضايا المعاصرة التي انكب كلٌ منهما على معالجتها ، حاول الفنان الموفد إلى مــدن أوربية أن لا تغيب عنه التطورات الحديثة في الفنون التشكيلية العالمية آخذا بعين الاعتبار تجربة الفن العربي الإسلامي وخصوصيته.

ولا يمكن الفصل بين الفن وبين الإنسان في حفظ التوازن الوجداني ، والارتقاء بالبيئة لدى الإنسان للمحافظة على حياته من الفناء أو الانقراض ، ويعتبر الفن تعبيرا عميقا عمَّا هو مخزون داخل القلوب البشرية من انفعالات ، وأحاسيس ذات رسالة معينة موجهة من قبل الفنان إلى المجتمع عبر العصور ، والأزمنة ، فالفنان يعتبر رسالته استمرارا لما سبق من رسالات يؤكدها أو يجددها ؛ لأنه يعيش من روحها ، فمن ثقافته وإدراكاته يسجل خلال هذه الرسالة القضايا التي يعيشها كالحدث أو الرؤيا.

إن الفنان الذي نشأ في الدول العربية المحاذية للبحر الأبيض المتوسط قد أسرتهُ لغة أُوربا وظلت نتاجاته تحاكي ما ينتج في محترفات أساتذته بعيدا عن الانسجام والتناغم مع الجماليات التي تصنع وقائعه الاجتماعية والسياسية ، مبتعدا عن محاكاة الواقع ،والقيام بشيء من التحوير الذي يقترب إلى حد كبير من الواقعية التعبيرية ، باتجاه صيغ أكثر تحررا من القيود التي فرضتها مثالية بعض من الرواد الأوائل ، وتنوعت العناصر ، والصيغ ،والاتجاهات التي طرحت ضمن هذه التجارب الجديدة بأن "النظرة الواقعية ليست بديلا للموهبة ،التي هي الشرط الأول لخلق عمل فني له شأن إن النظرة الواقعية تجعل الموهبة أكثر فطنة ، وتزودها بفهم صادق للواقع. (7)

فاتجه بعض هؤلاء الفنانين إلى التراث العربي في محاولة جادة لإعطاء هوية محلية فتحولت العناصر التجريدية التراثية عنده إلى مساحات تصوير ،ورموز واقعية معاصرة ،ثم تداخلت مع مختلف عناصره الواقعية مع الإنسان ،والمنزل، والطبيعة ،والأشياء.

وأمام الانفتاحات الجديدة للمجتمعات العربية ،والتغيرات الكبيرة أصبحت التكيفات الإنسانية القديمة عرضةً للتمزق ،والتهاوي وأن تكيفا جديدا بدأ يتخذ شكلا وتحسينا ، وحدوث مثل هذه التغيرات لم يكن ممكنا دون أن يصاحبها تغير أساسي في الشخصية الإنسانية.

ومصير الإنسان وحياة الأجيال المعاصرة يعتمدان على الناس أنفسهم ، وفي هذا بالتحديد تجد أكبر درجة من الإنسانية تعبيراً عنها في بدايات الفن العربي.

لقد حاول عدد من المؤسسين الأوائل في هذا البلد أو ذاك (أن يبيّنوا أنهم يستبعدون تماما العامل الذاتي من الفن ،وأن مهمتهم هي تصوير الحياة كما هي عليه في الواقع بالتحديد دون أن يضيفوا أية لمسة شخصية أو خيال ،وبعبارة أخرى فإن الحياة تملى عليهم وهما إنما يسجلون بأمانة ما تمليه عليهم .[8]

ومن هنا لا يستطيع الفنان إلا أن يدرك بأنه ينبغي عليه أن يغرس جذور عمله عميقا في قلوب الناس ،وينبغي أيضا أن يبدي تفهمه وحبه لهذه الجماهير ،إلى جانب عمله في توحيد المشاعر والأفكار ،والإرادة ،وأن يسمو بها ،ويطور غرائزها ، وينشط أفكارها ، وقيمها الجمالية باعتبار أن الفن مرتبط بمصير الناس.

المبحث الثالث ــ تفاعل الفنون التشكيلية بالمجتمع:

إن تفاعل الفنون التشكيلية وسيلة للحوار الحسي بين المجتمعات المتنامية منذ القدم وحتى يومنا هذا فمنه نستطيع بث رسائل مفهومة لكل أصناف البشرية متجاوزة حدود اللغات التي تنطق بها أمم مختلفة الأعراف ، والجنسيات ، فهناك لغة واحدة مفهومة وواضحة تقبلها كل الأطراف ، وهي محور تعبيرات نستشف من خلالها الرؤية الإنسانية لهذه الجماعة ، والنمط التي تتعايش به ليتسوق لنا مجمل القضايا المنسجمة مع نسيج حضارتها وتطورها وتفاعلها والتاريخ أكبر شاهد لهذا الكلام ، ومجمل القضايا تستطيع المجتمعات اختصار مفاهيمها ضمن الإطـــار الإبداعي. وتصعد كثيراً من القضايا التي تحكم بنيتها الأساسية ، والعقائدية ،والاقتصادية ،وما تسعى إليه من تواصل وارتقاء ضمن الصبغة الإنسانية ، وهذا ما جسدته ريشة الفنان عبر العصور القديمة والحديثة.

وإذا كان من السهل التعامل مع الوسائل المادية التي جلبتها الحضارة الحديثة، واستعمال "الفنون التشكيلية من رسم ، ونقش ، وتصوير ، ونحت ، وعمارة ، هي النشاط الإنساني الذي يسد حاجتين أساسيتين تحددان رقـــي المجتمع ، حاجة نفسية ذوقية ، وحاجة جسدية ، ووظيفية .[9] فمن الصعوبة بمكان تبني ما يرافق هذه الوسائل من قيم وثقافة غريبة وطارئة على العقلية البدوية النمطية. ولهذا يمكن الاستفادة من الأصالة والحداثة في ميدان تعليم البدو بوسائل التقنية في العمل الفني تمهيداً لنقلهم إلى مجتمع القــرن الحادي والعشرين.

وفي الوقت ذاته يجب التأكيد على بناء استراتيجية لتعليمهم لغة وفكر ومعنى الفنون التشكيلية من قيمهم وعاداتهم السائدة ،لأنها أصيلة لديهم ، كما يجب عدم التصدي لتلك القيم والعادات مباشرة لتغييرها ، فلابد أن يكون ذلك عبر تقدم تدريجي بحيث لا يقتصر التفاعل على المعلومات ، والمهارات ، بل يتناول تدريجياً القيم ، والعادات ،لأن تطور المعلومات والتقنيات الفنية التشكيلية ،يتسم بالسرعة الفائقة ،بينما يتسم تطور القيم ،والعادات بالبطء الزائد ، وهذه معادلة يصعب حلها في وقت قصير.

المحور الثالث – و يشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول ــ تطوير معلم الفنون بالتقنيات المعاصرة:

لتطوير الفنون بالتقنيات المعاصرة لابد من تطوير المعلم كأداة التغيير ، ولتطوير المعلم فلابد من تطوير مقررات الفنون التشكيلية التي يتلقاها في تعليمه ، ولابد من مراعاة المعايير المعاصرة في تصميم تلك المقررات ، فلقد تأثرت تلك المعايير بظهور المستحدثات التقنية الحديثة وأصبح الإتقــان هو المعيار الأول لنظم التعليم، وأدى ظهور المستحدثات التقنية إلى ظهور مفاهيم جديدة في ميدان الفنون التشكيلية ارتبطت بالمستوى التنفيذي ممارسات الفنون كالتعليم بمساعدة الكمبيوتر وتكنولوجيا الوسائل المتعددة ، ومراكز مصادر التعلم ، والجامعة المفتوحة ، والتعلم عن بعد ، والتدريب عن بعد ، والمؤتمرات بالفيديو ، وغيرها من المفاهيم المرتبطة بالمستحدثات التكنولوجية في مجال التعليم.

كما يجب نقل معلم الفنون من دور المتحدث إلى ضرورة الاعتماد بشكل أساسي على استخدام تقنية المعلومات التقنية الحديثة ، وتعريف معلم الفنون بها ،لأنه هو من سيستخدمها داخل الفصل مستقبلاً وإعادة النظر بعين الاعتبار المهارات الشخصية،والقدرة على القبول والمساهمة في إحداث التغيير ، ويجب أن تتقارب

متطلبات التّــخرج في التخصصات المختلفة مع المتطلبات العالمية ، ومع شهادات المؤسسات العلمية المماثلة ، فمثلاً : شهادة تخرج الفنون التطبيقية يجب أن تكون في مستوى أو ما يقارب مثيلاتها في دول العالم ، بحيث يكون قادراً على البحث عن عمل أينما كان " هدف تعليم الفنون التشكيلية هو تعويد الطلاب أسلوب تذكر موضوع لمحتوي العمل الفني ، وتحويلهم إلى آنية فارغة يصب فيها المعلم كلماته، وكلما كان المعلم قادراً على القيام بهذه المهمة ، كان ذلك دليلاً على كفاءته ، وكلما كانت الأواني قادرة على الامتلاء كان ذلك دليلاً على امتياز الطلاب ،وهكذا أصبح التعليم ضرباً من الإيداع تحول فيه الطلاب الى بنوك يقوم الأساتذة فيها بدور المودعين .[10]

يعتمد العصر الحديث على وسائل الاتصال التكنولوجية للحصول على التقنية الحديثة بأسرع الطرق ،غير أن ضعف البنية التحتية للاتصالات في ليبيا يجعل توفير خدمات (النت) محدودة وبطيئة ، ويجعل استخدامات الانترنت في المؤسسات التعليمية ضئيل ، ومحدود مقارنة بالتطورات الهائلة التي عرفها التعليم العام والجامعي في الدول المتقدمة ، والذي يعتمد على التكنولوجيا بالدرجة الأولى مما يجعل سبل توفير المعرفة في كل ، وقت وإتاحتها للراغبين للرفع من مستوى المعرفة العامة في المجتمع ، وتمكين الراغبين من التعلم والتدريب من الحصول على ذلك في كل وقت كما هو معمول به في كثير من بلدان العالم أمراً غير ممكن في ظل تواضع الخدمات التقنية.

المبحث الثاني ـ استراتيجيات التدريس الإلكتروني لطلبة الفنون التشكيلية:

يتسم العصر الحالي بالتوسع في جميع مجالات الفنون التشكيلية المختلفة، ولضمان مسايرة هذا التوسع المعرفي ، والتطور العلمي ، والتوظيف التقني ، يصبح دور الفنون التشكيلية بالكمبيوتر هو تنمية للفنان في الجانب المعرفي ، والمهارى، وذلك بأساليب ،وطرق تدريسية متعددة ، تغرس في الطالب توظيف التكنولوجيا في الحياة اليومية ، وتمثل الوسائل التعليمية مجموعة من الأجهزة والأدوات والمواد التي يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم ،والتعلم " يعرف الدليمي وناهل الوسائط المتعددة ، multi - media بأنها تقنية حديثة تعمل على الجمع بين الصوت، والصورة ، والفيديو ، والرسم ، والنص المكتوب لتقديم برنامج معين بما يحقق نوعاً من التحاور، interactive بين المتعلم ، والحاسوب .[11]

فإن تعلم مهارات التدريس الإلكتروني في الفنون التشكيلية ، يعتبر جزءاً من البناء الاجتماعي في المجتمع باعتباره يمثل إحدى المتطلبات الجوهرية التي تستحق درجة متقدمة ضمن أولويات اهتمامنا ، وإن ممارسة الطلبة استراتيجيات التدريس الإلكتروني تهيئ أمامهم فرص التنفس عن بعض انفعالاتهم ، وأفكارهم ، ويكتسب الطالب المهارة ، والثقة ،والخبرة ،والاعتزاز بالنفس ، ويؤكد ذلك ما يشهده الواقع المعاصر من تقدم علمي وتطورات سريعة متلاحقة في الفكر ، والعلم والثقافة.

والفن مثله مثل بقية الفنون له خصوصيته التي يتميز بها ، ويزخر التدريس الإلكتروني بأشكاله المتنوعة ويمكن أن يكون إحدى أسس نقل المعارف ، والخبرات المتوارثة للإنسان في صنع أشكال ونمط حياته عبر الأجيال التالية بطواعية ، وبشكل مباشر ، وغير مباشر.

فالفنان بهذه الحالة يوضح المعنى الذي لا يستطيع أن يتخيله منفصلاً عن التعبيرية الخاصية ؛ ولأن القدرة التعبيرية التي يتضمنها الموضوع يتطلب إدراكاً للعالم الخارجي " في المعاني التي يعبر عنها العمل الفني ، فما هي إلا مفاهيم ذهنية مدركة عن العالم الخارجي وهي مفاهيم قد ترتبط بأشياء عينية حسية ذات وجود عيني في العالم الخارجي وقد ترتبط بمفاهيم قائمة التجريد والتصميم .

كما إن تقنيات التعليم عبارة عن عملية منهجية منظمة للعمل ، وتقوم علي إدارة تفاعل بشري منظم مع مصادر التعلم المتنوعة من المواد التعليمية ، والأجهزة ،أو الآلات التعليمية لتحقيق أهداف محددة ، ولا ينكر أحد أن التكنولوجيا قد نقلت التدريس نقلة نوعية نحو الأفضل.

وتوجد علاقة بين الذكاء والتعلم ، فكلما ارتفعت نسبة ذكاء الفرد كلما كان أكثر استعدادا للتعلم وكان تعليمه أفضل ،لأنه عن طريق الذكاء يمكن للطفل إدراك البيئة المحيطة به واكتشافها وإدراك العلاقات بين الأشياء ... الخ

المبحث الثالث ــ دور وسائل التقنية الحديثة على الفنون التشكيلية:

تميز القرن العشرين بسرعة التغير في المعلومات ،والتقنيات الحديثة في ثقافة الفنون ،فترك ذلك أثراً بالغاً على الحياة الاقتصادية في العالم ،وقد تأثر المجتمع البدوي بهذا التغير ،لكن حياة البدو تأثرت بأسباب سياسية ، وأخرى طبيعية ، إضافة إلى الأسباب التقنية ، ودور وسائل التقنية الحديثة على الفن أغلبهم لم يلتفت إليه ، وهو أن الفن ممارسة اجتماعية وهو سلعة - أيضا - يشترك في إنتاجها ناشرون تباع في السوق كي تحقق ربحا ، ولذلك فإن الوسائط التي تخلقها وسائل الاتصال الحديث،

تؤثر في رؤية الفنان ، وفي تشكيل عمله الفني ، ومهمة الفنان أن يعيد النظر في أشكاله الفنية ، وفي قوى الإنتاج الفني المتاحة له حتى يستطيع أن يطور فنه ، فالشكل الفني عند (بنيامين) يتجاوز البنية المهيمنة السائدة في مرحلة اجتماعية معينة ، وهذا يجسد قدرة الفن على تحريك الوعي الإنساني لكي يكون مبدعا ، ويرى أن تحطيم الفصل بين الأجناس الأدبية يساهم في خلق علاقة اتصال جديدة بين الأديب والقارئ.

ورغم مرور أكثر من خمسين عاما على كتاباته إلا أنها لا تزال أعمال مهمة تقدم صورة للفن المستقبلي ؛ لأنه كان خارقا في تنبؤاته بشأن طبيعة الفن المعاصر وارتباطه بتقنيات هذا العصر ، فالسينما من الفنون التي ولدت مع التقنيات أو نتيجة للتقنيات الحديثة ، وكذلك فن التصوير الفوتوغرافي الذي أدى إلى ظهور أساليب جديدة في إنتاج الأعمال الفنية زلزلت مجال الفن بأسره إلى الدرجة التي تجعله يقطع الصلة بالمراحل السابقة.

فالفن ،والأدب كان لهما على وجه الخصوص في القرن التاسع عشر طابع فردي ، وكانا يتوجهان للفرد ذاته تم دمجهما في القرن العشرين بالاتصال الجماهيري بما يسميه (هوركهايمر) و(أدو رنو) الصناعة الثقافية ، فلم يعد الفن مقصورا على هاوي الفن الذي يجمع الكتب النادرة أو على مجموعة محدودة ، وإنما أصبح بفضل وسائل الاتصال الحديثة متاحا للجميع ، فالحفل الموسيقي الذي يحضره مجموعة من البشر ، يمكن أن يسمعه الملايين عبر الأقمار الصناعية في جميع أطراف الأرض وهذا مكسب للفن ، وأصبحت الإشكالية هل يمكن أن تستفيد أجهزة الإعلام في تقديمها للأعمال الفنية أن تقوم بدور في تثقيف الحواس لاستقبال الفنون الرفيعة القادرة على تحريك الوعي في الاتجاه الذي ينمي إمكانات الإنسان الروحية والمادية ، فهذه الأشكال تخرج عن تقديم العمل الفني المتفرد ، وتعتمد على القيمة الاتصالية بين العمل الفني والجمهور أكثر من اعتمادها على القيمة الجمالية.

مقترحات الدّراسة وتوصياتها:

بالنظر إلى أهمية هذه الدراسة التي ستسهم في فهم التقنية المعاصرة بما ينعكس بالفائدة يتقدم الباحث بعدد من التوصيات ،والمقترحات إلى بعض الجهات التي بإمكانها أن تقوم بتنفيذها

ومن أهم تلك التوصيات ما يلي:

1. إن الفن المعاصر هو نتاج كل الحضارات ، وأنه ليس لغة تمثيل ، وإنما لغة تشكيل ، فهو خلق جديد يكشف لنا عن عالم كنا نجهله ، فينشئ بذلك قيما جديدة.

2. على الدولة العمل على توفير احتياجات ،وتنمية الموهوبين من طلبة الفنون التشكيلية مثل الأجهزة التثقيفية ،والمراسم ،والحواسيب الحديثة ،والكتب اللازمة للرفع من مستوى التقنية المعاصرة ،ودورها في تفاعل الفنون التشكيلية وفق الرؤى العلمية.

3. العمل علي إثراء عقل الطالب بكمٍ أكبر من تفاعل المعلومات التقنية الحديثة في الفنون التشكيلية من إتاحة الفرصة للطلاب لتبادل الأفكار ، والمواد ،ومساعدة الآخريـــن ،والتواضع والتنافس الشريف بين المجموعة التي يتواجد فيها الطالب، والمجموعات الأُخرى.

4. كان لرواد الفنون التشكيلية دوراً واضحاً في نشر الوعي الثقافي ، والفني ،وتعميم مفهوم الفن باعتباره وسيلة للتطور ،والتنمية البشرية ،واستحداث فروع ،وأقسام الفنون التشكيلية في المدارس والمعاهد والجامعات التي كانت وما تزال رافدا لتأهيل الأجيال الجديدة للمساهمة في إثراء الحركة الفنية ،والنقدية.

5.أُوصي من خلال هذه الدراسة إلى ضرورة تأسيس ذاكرة تاريخية منهجية للفن التشكيلي مع المعطيات التقنية الحديثة الذي شاع ولا يزال في عالم الصحافة أو الإذاعة والتلفزيون ،أو في مواقع الإنترنت ،ورصد المستحدثات الفنية التشكيلية كما هو سائد حاليا في البلدان العربية التي تشكلت فيها حركة الريادة التشكيلية من نخبة من الفنانين الذين استطاعوا من خلال فنهم وأساليبهم أن يستلهموا لنا مواضيع من التراث والتاريخ.

الهوامش :

1- https://m.marefa.org 12/6/2011
2- باسكال ،مرسيلو :الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ،ترجمة حميد الحمدان وآخرون دار أفريقيا للنشر ،الدار البيضاء ،1987 م ،ص4.
3- عبد الكريم صولة :الأسس الفنية لتقويم تصميم أغلفة الكتب المدرسية بالمرحلة الإعدادية ومدى تطبيقها في ليبيا ،أُطروحة دكتوراه في فلسفة تقنيات التعليم،2013 م ص 10.
4- البراهيم ،هيا عبدالعزيز :مدي فعالية لائحة تقويم الطالب في تحسين مستوى التحصيل الدراسي بمراحل التعليم العام للبنات في المملكة رسالة ماجستير ،قسم الإدارة التربوية جامعة الملك سعود ،2002 ،ص 219 .
5 - 7/10/2012 www.facepook.com/sagadesign
6- عبد السلام المسدي : اللسانيات وأسسها المعرفية ،المطبعة العربية ،تونس ،1986 م.
7- مجلة فنون عربية ،العدد ،4 ،لندن ،سنة 1982،ص: 52.
8- التعبير بالألوان ،كتاب العربي ،التاسع والثلاثون ،الكويت ،ب ـ ت،ص 52.
9- عادل كامل :الحركة التشكيلية المعاصرة في العراق ،وزارة الثقافة والإعلام ،دار الرشيد للنشر ،1980، ص 33.
10- على ،سعيد إسماعيل :فلسفات تربوية معاصرة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ،سلسلة عالم المعرفة ،1995،ص 203.
11- عماد الشريف :تقنية المعلومات والاتصالات ودورها في تطوير طرق تدريس الفيزياء الجامعية ،مجلة التربوي ،العدد الثالث ،الخمس ليبيا ،يوليو. 2013 ص 348.